ابن سبأ
(دراسة تاريخية)

كاظم باجي ونس الخالدي

ملخص البحث

لقد ورد اسم ابن سبأ لأول مرة في مرويات سيف بن عمر المتوفى سنة ١٧٠ هـ ، ومنه اخذ المؤرخ الطبري ، ومنه إلى كتب التاريخ الأخرى .

وقد نسب إليه سيف أعمالا وأفعالا يعجز الانسان الاعتيادي عن القيام بها، فقد كانت ساحة نشاطه تمتد من العراق إلى الحجاز وبلاد الشام حتى مصر ، وتمكن أن يؤلب الناس على الخليفة عثمان بن عفان ،وتجمّع عليه الناقمون من بعض الولايات الإسلامية فاقتحموا داره وقتلوه .

وكان ينسب أفكارا متطرفة للإمام علي حينما اختير لمنصب الخلافة بعد قتل عثمان ، كالإلوهية والرجعة ، وقد أكثر المؤرخون في سرد أفكار مختلفة له تفتقر إلى التجانس، لكن الاستقراء التاريخي يظهر إن هذه الشخصية خيالية، افتعلها سيف بن عمر لتمرير أهداف خفية بين المسلمين .

Abstract

The name of Ibn Saba was mentioned for the first time in Saif Ibn Omar narratives , the latter died in ١٧٠ AH, and the historian Al Tabari narrated from him , and other historians too .

Saif Ibn Omar had attributed to Ibn Saba works and deeds and he stated that a normal human lacks them .

Saif Ibn Omar had mentioned also that the activities fields of Ibn Saba stretched from Iraq , Hijaz , Syria and Egypt . Ibn Omar also stated that Ibn Saba was able to provoke people against Caliph Othman . The people gathered from some Islamic states and broke through his home and killed him .

In addition , Ibn Saba attributed radical thoughts to Imam Ali when Imam Ali was chosen as caliph after the Killing of Othman . SUCH as making him divine and that he would ve live once agAir , after his death , and other different views .

But the historical induction shows that Ibn Saba was an imaginative personality , made by Saif Ibn Omar to pass For some viciouy hidden objectives and purpose among Moslems□□□

المقدمة

إنَّ الاختلاف بين المسلمين ظهر بشكل ملموس بعد وفاة رسول الله (ص)، حيث انقسموا أشياعاً وأحزاباً ، وظهرت معالمه بوضوح في سقيفة بني ساعدة ،إذ رأينا

ثلاث كتل تتنافس على الخلافة هي الأنصار والمهاجرون والعلويون الذين لم يشتركوا في مناقشات السقيفة لانشغالهم بتجهيز جنازة رسول الله ، قد مهد الطريق للوضع والتأويل والاختلاق ، سواء في الأحداث التاريخية آو في الحديث النبوي، إلا إن ذلك الاختلاف لم يظهر على السطح في هذه الفترة وإنما برز واشتد بعد مقتل الخليفة عثمان ٣٥هـ ، وتولي الإمام علي الخلافة، حيث اتهم كيداً بمقتل الخليفة لهذا رافق الخلاف استخدام القوة العسكرية من قبل معارضي الإمام علي تدفعهم إلى ذلك المطامع والبغض والعوامل الشخصية ، إلا إن الأمور حسمت في النهاية لصالح معاوية بن أبي سفيان، حيث أصبح خليفة للمسلمين ، وفي هذا العهد بدأ التراث الإسلامي يتعرض علانية للوضع الجائر بتشجيع من السلطة المركزية وإشرافها، ولعل كتاب معاوية ابن أبي سفيان لعماله في الولايات يكشف مدى التشويه الذي أصاب الحديث النبوي على الخصوص ، فقد جاء في ذلك الكتاب : إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر(وكان ذلك بأمر معاوية) ، فإذا جاءكم كتابي فادعوا الناس إلى الرواية في الصحابة والخلفاء ،ولا تتركوا خبرا يرويه احد من المسلمين في أبي تراب ، إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة والخلفاء، فان هذا أحب إلي واقر لعيني وادحض لحجة أبي تراب[١]، كان معاوية منساقا بدافع الكره الأموي ،التواق للثأر من علي لقتلى الأمويين في غزوات رسول الله، لذلك ظن د إن عمله هذا سيمحو فكر آل البيت من الذاكرة الإسلامية، وبذاك يصيب ثأره وينتقم، بعد إن فات آباءه الانتقام من رسول الله .

وممّا يلفت النظر إن الوضع بدأ أولاً في الحديث النبوي في زمن رسول الله ، لذلك هددهم في خطاب له فقال : ايها الناس قد كثرت عليّ الكُذابة ، فمن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار [٢]، لذلك يمكن تصور ما حدث بعد رسول الله لا سيما بعد ما آل اليه أمر المسلمين من التحزب والاختلاف إلى فرق متباينة الاهواء والآراء تسابقت فيما بينها في وضع الاحاديث ونسبتها إلى رسول الله لتكون سنداً في تأييد دعوائهم ، فأختلط الصحيح بالموضوع ، بالرغم من الجهود التي بذلها رجال الحديث من تنقيته من تلك الشوائب ، إلا إن ذلك لم يحقق المنشود .

ومن ناحية أخرى فإنَّ التحزب والتعصب ظهر عند مؤرخي العرب الأوائل حيث كانوا يمثلون قبائل مختلفة لذا كان التعصب للقبيلة نوعا من الولاء لها، ومن أمثلة هذا الصنف وهب بن منبه (ت ١١٠هـ)، الذي بالغ في تمجيد اليمن والقحطانيين لأنه ينتسب إليهم[٣].

وعلى العموم فالمصادر الأولى بمجموعها ، ذات طابع أسطوري نجدها عند عبيد بن شريه الذي يورد قصصاً خيالية لتاريخ اليمن وهي مزيج من القصص الشعبي والإسرائيليات ، قصد بها تمجيد عرب اليمن ونسب إليهم أمجادا في الحرب والصنعة والآداب وحتى الدين، ليدللوا إنهم سبقوا عرب الشمال في أمجادهم[٤].

وممّا تقدم يمكن القول إنّ تلك الأقلام التي تجرأت ودست احاديثاً كاذبة على لسان الرسول ، أو فضلت عشائرها على غيرها للتباهي والاستعلاء على الآخرين في وقت مبكر ، فإن مثيلاتها لا تتوانى أن تختلق قصصاً أو أحداثاً وشخصيات وهمية في سبيل تحقيق أهداف ضيقة على حساب الحقيقة بعد مرور سنين طويلة على أحداثها ، لذلك يمكن القول إن عبد الله بن سبأ نموذج لذلك التجرؤ على التأريخ الذي احدث خللاً في النسيج السياسي للمجتمع الاسلامي وبلبلة افكاره .

أفكار ابن سبأ ونشطه :

تشير بعض مصادر التأريخ الاسلامي ومراجعه سواء القديمة أو المعاصرة ، إلى شخصية ظهرت في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣هـ - ٣٥هـ) ، ونسبت إليها تلك المصادر دوراً درامياً في الاخلال بحياة المسلمين وزرع بذور الفتنة بينهم ، وأضفت على تلك الشخصية مواصفات قيادية نادرة ، منحتها نشاطاً استثنائياً ، اذا قارناه ، فأنه يفوق نشاط أي مدير استخبارات دولة كبرى في العالم المعاصر ، ذلك الذي له قدرة على الاطاحة بالحكم في أي بلد يشاء ، وتمزيق الرأي العام ، واشعال الحرائق في أي مكان يريده ، وهذه الشخصية هي شخصية عبد الله بن سبأ ، فتراه يوماً في الكوفة ، وفي آخر في الشام ، ثُمَّ يعود للبصرة ، ليرحل بعد ذلك إلى المدينة ليحل بعدها في مصر في رحلات لا تبدو خطورتها لعيون السلطة بالرغم من كونها مكشوفة للأنظار.

وفي خلافة الإمام علي (٣٥ هـ/٤٠هـ) ، أضافت كتب الرجال والفرق آراء جديدة لابن سبأ لم يذكرها احد في عهد الخليفة عثمان بن عفان[٥]، إذ نسبت إليه ادعاء النبوة ، وتأليه الإمام علي ، الذي بادر ، عند سماعه بذلك ، إلى توبيخه وقال له قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا، ثكلتك أمك، وتب ثم حبسه واستتابه ثلاثة أيام،لكنه لم يتب فأحرقه بالنار[٦] ، ويشكك طه حسين بذلك ، ويقول لم نجد في كتب التاريخ لها ذكرا ولا نعرف في أي عام كانت،لاسيما وان تحريق جماعة بالنار ليس بالشئ الذي يغفل عنه المؤرخون،وإنما المعروف إن عليا حكم على نفر ارتدوا عن الإسلام في الكوفة بالموت لأنهم لم يتوبوا ويعودوا للإسلام[٧]، وهناك رواية أخرى تزعم إن عليا أمر بقتل ابن سبأ، بسبب زعمه إن عليا أمره بسب الصحابة،إلا إن الناس تدخلوا في الأمر وقالوا لعلي أتقتل رجلا يدعو إلى حكم آل البيت والبراءة من أعدائه؟ لذلك صيره إلى المدائن[٨]، لكن رواية أخرى ترى إن عليا نفاه إلى المدائن بعد أن قال لعلي أنت، أنت ، يعني أنت الإله[٩]، وبهذه الوتيرة التي لا تستقر على رأي نجد إن هناك من يزعم إن ابن سبأ إدعى النبوة ثُمَّ إدعى الالوهية [١٠]، في حين إن البعض يقصر إدعاء النبوة على نفسه وينسب الالوهية للإمام علي[١١] .

إنَّ هذه الروايات لا يمكن التسليم بصحتها، فهي تفتقد إلى التجانس في المعنى، كما إن بعضها تصور الإمام علياً متردداً متساهلا يكتفي بنفي ابن سبأ الى المدائن ، فضلا عن ذلك ، فإنه لو إفترضنا صحتها ، فإن الإمام علياً لا يمكن أن يكون بهذه الشاكلة حيث عرف عنه الشدة في أمور الدين لدرجة انه لايتورع عن إنزال القصاص حتى بأقرب المقربين إليه،ولعل مافعله بالنجاشي شاعره المفوه في صفين دليل على انه لاتأخذه في الحق لومة لائم ، فقد أقام عليه الحد لشربه الخمر في رمضان، وضربه عشرين سوطا زيادة عن الحد المقرر(٨٠ جلدة) ، ولما سأل الإمام عن سبب ذلك ، قال له : لجرأتك على ربك وإفطارك في شهر رمضان ، فكان ذلك مدعاة لغضب الشاعر وبعض أقربائه ، فترك علياً واخر معه والتحق بمعاوية[١٢]، لذلك لا يمكن للإمام علي أن يكتفي بعقوبة النفي في قضية يمتزج فيها الكفر والإلحاد والشرك . الامر الذي يجعل هذه الروايات خارج رحم التاريخ .

وزعمت مصادر اخرى إنّ ديانة ابن سبأ الأولى هي اليهودية وان أصله من أهل اليمن ، وترك ديانته ودخل في الاسلام ، وبعد دخوله الإسلام اخذ يبشر بفكرة إنّ رسول الله لم يمت ، وإنما سيرجع مثل عيسى بن مريم ، وكان يقول إنّ رسول الله أوصى إلى علي بن ابي طالب من بعده ، فمحمّد خاتم الانبياء ، وعلي خاتم الاوصياء ، لذلك فهو أحق بالخلافة من عثمان بن عفان ، وتنسب تلك المصادر لأبن سبأ سبب تألب الاحزاب على الخليفة عثمان بن عفان [١٣]، ومن ثمَّ ادى إلى قتله .

لم تكتفِ تلك المصادر بإحاطة ابن سبأ بهذا التوصيف ، فذهبت إلى أبعد من ذلك وعزت اليه والى اتباعه عرقلة مساعي الصلح بين الإمام علي بن أبي طالب والمتآمرين في معركة الجمل ، بما قاموا به من كسر التفاوض ومباغتة المتمردين بالقتال ، فتجددت الحرب ثانية[١٤]، وهم فعلوا ذلك في سبيل أن ينشغل الطرفان بالقتال ، ويبعد عنهم القصاص في حادثة قتل الخليفة عثمان بن عفان ، الذين اتهموا بوضع الخطط لها وتنفيذها ، كما صورتها تلك الروايات .

ويذكر ابن خلدون انه يسمى ابن السوداء ، وقد اخرجه الوالي من البصرة ، فلحق بالكوفة ثُمَّ توجه إلى بلاد الشام ، ومنها اخرجوه إلى مصر ، وكان يكثر الطعن على الخليفة عثمان ، فاستمال الناس في تلك الامصار لأفكاره ، وكانت له معهم مكاتبات ، ويضيف إنه كان يغري عمار بن ياسر على معاوية ، ويعيب قول معاوية إنّ المال لله حتى لا يصرفه على المسلمين [١٥] .

وهكذا نجد ابن سبأ يثير أهل العراق وبلاد الشام ومصر ضد الخليفة ، ويخدع صحابة رسول الله ، ويغسل ادمغتهم بأفكاره ، وهو الذي لم تمر عليه سوى فترة قصيرة على دخوله في الإسلام ، كما تقول تلك المصادر .

إنّ تصديق مثل هذه الروايات وتداولها على إنها حقيقية ثابتة يعني الإقرار إنّ غالبية المسلمين ما زالوا أعراباً سذجاً ولما يدخل الإيمان قلوبهم ، وان عمار بن ياسر وابا

ذر وغيرهما من الصحابة خرافة مصطنعة ، وان صحبتهما لرسول الله سطحية لم تلامس شغاف قلوبهم ، ولهذا لم تستطع أنْ تقاوم الاباطيل فهوت أمام تخرصات ابن سبأ ، وان عماراً نسيَّ نضال عائلته المرير في سبيل العقيدة الإسلامية وسها عن شهادة أبيه ، وان أمه كانت أول شهيدة في الإسلام(١٦)، ثُمَّ يترك كل هذا التراث الحزين الفريد ويتأثر بمزاعم هذا الداعية الداهية وينساق معه ، ومثله في هذا الاتجاه ايضاابو ذرالغفاري الذي عبدَّ الله في الجاهلية ، وأول من جهر بإسلامه في مكة تحدياً لقريش حتى كاد أنْ يقتل ، لولا إنّ قريش تذكرت إنّ طرق تجارتها تمر عبر مضارب قبيلته غفار فتركته (١٧)، فانه هو الآخر يتأثر بطروحات ابن سبأ ويؤمن بها وينقاد أليها.

كانت هذه خلاصة الأفكار التي أوردتها المصادر العربية القديمة عن شخصية ابن سبأ ، التي احاطتها بمواصفات عالية من القدرة والتلاعب بعقول المسلمين ، ونسبت أليها آراءً غريبة دخلت على وجه الخصوص في مذهب آل البيت ، كما يزعم بعضها .

رأي بعض المعاصرين بقصة ابن سبأ :

(أ) المؤيدين لها :

فإذا كان هذا التخبط قد شاب مدونات بعض الاقدمينَ من المؤرخين وكتاباتهم عن قصة ابن سبأ ، فإن موقف بعض المؤرخين المعاصرين نعتبره أدهى وأمر ، وذلك لأن العصر الحديث يختلف عن العصور الوسطى التي كتب فيها أولئك المؤرخون ، من ناحية تطور الكتابة التاريخية وتحسن مناهج البحث العلمي ، فضلاً عن تطور الوعي الذي يفرض على الباحث عدم الاكتفاء بالحصول على المادة التأريخية ، وإنما عليه التحري عن الحقائق والاعتماد على العقل والمنطق في تأمل تلك المعلومات وتمحيصها ومقارنتها ، للتوصل إلى حقائق الأمور .

لكن يبدو إن هناك من يصر على النقل الحرفي ويستعجل الأحداث دون تروٍ ، فضلاً إن البعض يستجيب لطغيان العاطفة في تفسيراته ، لذلك فإن هؤلاء لا يضيفون شيئاً للتأريخ فيما يكتبون ، بقدر ما يرددون من أفكار مشوشة مستحلبة من الماضي دون تنقية ، لهذا افتقدت إلى موضوعية التدوين ورصانة الأحكام .

فعلى سبيل المثال نجد احد المؤرخين المعاصرين ينسب لأبن سبأ قيام الثورة على الخليفة عثمان بن عفان ، حتى جعله الزعيم الحقيقي للثورة الذي نقلها من الكلام إلى العمل ، ليشعل الفتنة وينزل بالعالم الاسلامي ناراً ظلت متأججة عشرات السنين ، ودعوته لعلي ونشر مذهب الولاية ، ثُمَّ ما قام به من وسائل لافشال مفاوضات الصلح في حرب الجمل ، عندما أصبح علي خليفة للمسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان(١٨)، ويصف مؤرخ آخر: ابن سبأ بالشيطان حيث صار يضع الكلام في تعظيم النبي وأهل بيته ، وان عليا وصي رسول الله ، ويستمر الكاتب في ترديد ما ذكره بعض

المؤرخين القدامى عن أفكار ابن سبأ الذي يعزو سبب نجاحه إلى إن الأمة فقدت (السراة العقلاء)، ثم يسرد عبارة غامضة فيها اتهام مغلف لا يعرف ضد من ، تقول : فما ظنك إن كان سراتها ممن يساعد على فتح باب السر باغضائه وتهاونه ، ثم يذكر بعد ذلك كيف افشل ابن سبأ وأتباعه مفاوضات الصلح في معركة الجمل[١٩]. ويضيف ويضيف مؤرخ آخر بدون دليل تاريخي يستند اليه ، ويحاول أن يربط ما يسميه التنافس بين بني هاشم وبني امية أيام الجاهلية[٢٠]، وبين سعي بني هاشم إلى الخلافة كما يزعم ، فيقول وجد بنو هاشم لهم داعية جريئاً في شخص رجل يعرف باسم عبد الله بن سبأ ضد الخليفة الاموي عثمان بن عفان ، ولو إن هذا المؤرخ انحى باللائمة على سياسة الخليفة عثمان بن عفان التي أدت إلى ردود سلبية بين المسلمين لدرجة أصبحت مدينة الرسول في زمن الخليفة مركزاً لأشهر المغنين ، ثُمَّ يستمر في تعداد مثالب كثيرة احصاها على الخليفة [٢١]، لذلك ناقض هذا المؤرخ نفسه بنفسه ، فما دامت سياسة الخليفة لم تحظ بالرضا وهي التي أدت إلى الفتنة وقتل الخليفة كما يقول، فما حاجة بني هاشم إلى شخص مريب يدعو لهم ما دامت الأمور تجري لنهايتها ، فضلاً عن هذا ، فلو كانت الأمور كما صورها هذا الباحث ، لسمعنا لها ذكراً على لسان عثمان يعاتب بها علياً ، أو مستشاره مروان بن الحكم ، وهو العدو الأول للإمام علي ، الذي لم يترك تهمة إلا وجهها لعلي ، فكيف يهمل مؤامرة إبن سبأ دون أن يتهم علياً بها .

أما حسن إبراهيم حسن ، فيرى أن ابن سبأ أول من حرض الناس على كره عثمان ، وانه بدأ ذلك بالحجاز ثم البصرة والكوفة والشام ومصر ، وكان يتبادل الكتب والرسائل مع المتآمرين ، فوضع مذهب الرجعة (رجعة رسول الله) ، ومذهب وصاية علي ، وتمكن بذلك أن يهيئ العقول إلى الاعتقاد بأن عثمان اغتصب الخلافة من علي وصي النبي ، ثُمَّ قال أن ابن سبأ نجح بسياسته نتيجة لسخط الناس على إدارة عثمان وولاته ، حتى استطاع أن يدفع أهل مصر والبصرة والكوفة أن يشخصوا إلى المدينة وخرج كل منهم بستمائة رجل ، وعندما وافوا أطراف المدينة اختلفوا فيمن يولونه الخلافة ، إذ مال أهل البصرة للزبير ، واهل الكوفة لطلحة ، واهل مصر إلى علي ، وسنقف عند هذا الحد من عرض المؤرخ حسن إبراهيم حسن ، لأنه أعطى فرصة لطعن ما جاء فيه ، فهو أكد على نشاط ابن سبأ ، وذكر نجاحه في الامصار الإسلامية ، وهيأ اذهان اتباعه لقبول وصاية علي ، وامتثلوا لأمره طائعين ، وجاؤا من مصر والكوفة والبصرة ، لذلك فالمنطق يفرض علينا أن نعتقد إن هؤلاء الاتباع الذين اطاعوا سيدهم طاعة عمياء ، وإن أفكار ابن سبأ اختلطت بدمائهم ، وانهم متفقون على ما قاله لهم ، في حين نجدهم الآن غير متفقين على مرشح واحد للخلافة عند وصولهم مشارف المدينة المنورة ، وان المصريين فقط مالوا لعلي ، في حين إن دعوته كما زعمت المصادر القديمة ، قائمة على أساس ولاية علي واحقيته بها ،

فلماذا يختلفون الآن ، ومن ناحية ثانية كيف إذا اختلفوا على خلافته ، فكيف يقنعهم بألوهيته التي نسبتها بعض الروايات الأخرى له ، لذلك فإن عرض المؤرخ حسن إبراهيم حسن لهذه القضية ، أعطى اسباباً وجيهة لتكذيب اسطورة ابن سبأ ، لأن ما أشار اليه جعل روايته تتفسخ ذاتياً وتتناثر إلى اشلاء في الهواء ، لأنها تفتقر إلى التناسق بين قوله تهيئة الاذهان للدعوة إلى علي وبين عدم ميل الغالبية اليه .

ومن بين الذين أيدوا تأثير هذه الشخصية المستشرق الالماني يوليوس فلهاوزن ، فإنه قد تناول موضوع ابن سبأ في مبحثين احدهما في كتاب (الخوارج والشيعة) ، والثاني في كتابه (تاريخ الدولة العربية) ، وهو يؤمن بوجود ابن سبأ لكنه يعطيه امتداداً تاريخياً حتى زمن محمد بن الحنفية والمختار الثقفي ، الذي طارد قتلة الحسين بن علي .

وجاء في كتابه الأول إن قادة الخوارج الأول من السبئية حسب ما يستخلصه من رواية سيف بن عمر ، ويقول إن هذا التلقيب كلمة ذم تطلق على الشيعة سواء ، لكنه يرى أن الاستعمال الدقيق له ينطبق على الغلاة فقط ، وفي أشارة أخرى ينفي حركتهم ضد عثمان ولم تكن لها تلك الأهمية التي ينسبها أليها سيف .

وفي موضوع آخر من الكتاب يأخذنا إلى حلقة جديدة ، ويقول أن السبئية أيضاً تسمى بالكيسانية[٢٢] ، وكان كيسان زعيماً للموالي ، لذلك استنتج البعض أن التشيع كمذهب ديني فارسي الأصل ، باعتبار إن زعيمه من الموالي . إلا إنَّ فلهاوزن يرد على الزعم قائلاً ، أما إن آراء الشيعة كانت تلائم الفرس ، فهذا أمر لا سبيل إلى الشك اليه ، لكن كون هذه الآراء انبثقت من الفرس فليس هناك دليل على هذا القول ، بل إن الروايات تقول العكس ، وترى إن التشيع الواضح الصريح كان قائماً في الدوائر العربية ، ثم انتقل إلى غير العرب ، ثم يأتي برآي آخر وهو إن منشأ السبئية يرجع إلى زمان علي والحسن ، دون أن يؤد قوله بسند تاريخي ، فالمعروف إن الحسن واجه معاوية بجيش أبيه الذي انفصل عنه الخوارج ، إلا إن المصادر لم تذكر إن السبئية معه ، وبعد ذلك يلتقي فلهاوزن مع القائلين عن التأثير اليهودي في مذهب الشيعة ، دون أن يكون تأثير للفرس فيه ، معتمداً أن فكرة لكل نبي خليفة إلى جانبه في حياته هي يهودية الأصل وليس فارسية ، فكما لموسى خليفة في يوشع ، فإن لمحمد خليفة في علي حيث أطلق عليه وبنيه أسماء الوصي أو المهدي أو الإمام [٢٣]، وهذه الفكرة قال بها ابن سبأ اليهودي .

أما في كتابه الأخر الذي اصدره بعد عام من كتابه اعلاه (١٩٠٢) ، فيقول إن السبأية حزب كان متوارياً في الظلام ، واتخذ اسمه من ابن سبأ ، وقالوا إن النبي لم يمت بموت محمّد بل هو باق في سلالته واحداً بعد واحد ، ويزعم انهم بنوا مذهبهم على أساس تناسخ الارواح ، فقالوا إن روح الله التي تسري إلى الانبياء تنتقل بعد موت كل نبي إلى النبي الذي بعده ، وان روح محمد خاصة انتقلت إلى علي ، وانه باق

في سلالته ، وعلى هذا فإن علياً هو الخليفة الشرعي ، ثم يصنف الشيعة إلى فرقتين ، فرقة السبئية وهم الغلاة ، وفرقة الشيعة المعتدلة التي لا تختلف عن سائر المسلمين إلا حول الخلافة ، فيقول إن شأنهم التاريخي ظهر على يد المختار الثقفي ، في حين يذكر ببرود قول سيف بن عمر أنهم قتلة عثمان [٢٤]، وبذلك فإن فلهاوزن خالف في بعض آرائه الروايات التي ذكرها بعض المؤرخين عن دور ابن سبأ في الثورة على عثمان ونشاطه في حرب المتمردين في موقعة الجمل ، وكذلك تأكيده على امتداد السبئية وارتباطها بالكيسانية التي ينسبها بعض المؤرخين إلى محمد بن الحنفية بن علي ، لكنه لا يختلف عن الآخرين من المؤرخين الذين يزعمون بوجود التأثيرات اليهودية على فرقة الشيعة ، إلا انه ينفي من ناحية أخرى التأثير الفارسي فيها ، وعلى العموم فيمكن القول إن ما جاء به هذا المستشرق بالرغم من انه وصف بالمفكر المتحرر ومؤلف من الطراز الرفيع ، عبارة عن أفكار مشوشة لا سيما في كتابه الثاني الذي اشرنا إلى عنوانه اعلاه .

(ب) الرافضون لقصة ابن سبأ :

بلا شك إن ساحة التدوين التأريخي لم تعدم من افذاذ كتبوا في حياة الشعوب والامم ، واستخدموا الاساليب الحديثة في رصد الأحداث الماضية ومقارنتها وتأمل تفاصيلها ، استعداداً لاقتناص الحقيقة من مكبات التاريخ الكثيرة ، التي قد يضيع فيها البعض في متاهاتها إذا لم يكن متزوداً بالوعي الذي يعين على التحليل والمقارنة والنقد ، لذلك اصبحت نتائج هذه الدراسات تنبض بالحيوية والجذب، لأنها تنسجم مع روحية البحث الحديث ، وفيما يلي نموذج من هذه الدراسات التي اعتمدت التحليل واستنطاق التاريخ:

(١)طه حسين :

إنّ معالجة طه حسين لموضوع ابن سبأ تسمو على غيرها مما طرح في هذا الموضوع تحليلا ودقة ، فكانت دراسة علمية تقوم على شواهد وحقائق لا يمكن لأحد أن ينكرها ، فهو يعتقد أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحد ، يسرفون على أنفسهم وعلى التأريخ إسرافاً شديداً ، ويحتج إنه ليس لأبن سبأ ذكر في المصادر الإسلامية المهمة ، وإنما ذكره الطبري عن سيف بن عمر وعنه اخذ المؤرخون الذين جاءوا من بعده ، ثُمَّ يقول إنّ خطره ان وجد ، ليس ذا شأن ، وما كان المسلمون في هذه الفترة يعبث بعقولهم وآرائهم وسلطانهم طارئ من أهل الكتاب ، أسلم أيام عثمان ، ويتابع طه حسين عرضه للموضوع بالقول ، ولو كان لتلك الشخصية هذه المخاطر ، لكتب عمال عثمان مثل معاوية وعبد الله بن أبي سرح إلى الخليفة ليبطش به ، والوالي الأخير كاد أن يبطش بمحمد بن حذيفة ومحمد بن أبي بكر، رغم مكانتهما عند

المسلمين ، لولا تدخل الخليفة الذي حال دون ذلك ، فهل يمكن ان يترك رجلاً من أهل الكتاب دخل الإسلام حديثاً يعبث بعقول المسلمين دون رادع ويحرض على الثورة ضد الخليفة عثمان بن عفان؟

ثُمَّ سفه طه حسين ما ذكره بعض المؤرخين ، بأنه لقن أبا ذرفكرة أن المال هو مال المسلمين ، وهو السابق إلى الإسلام من المهاجرين والانصار ، ثُمَّ يخلص إلى القول إنّ خصوم الشيعة أيام الامويين والعباسيين قد بالغوا في أمر ابن سبأ ليشككوا ، فيما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته ، والتشنيع على علي واصحابه ، ويضيف أن ما نسب إلى ابن سبأ لا يستقيم مع العقل ولا يثبت للنقد ، ولا ينبغي أن يقام عليها أمور التأريخ ، ويعلل الأحداث التي وقعت في زمن عثمان إلى الصراع بين طلاب الدنيا وطلاب الآخرة ، فالمتمسكون بالقرآن والسنة كانو يرون اموراً ينكرونها ويجب مواجهتها في حزم ، وبين الشباب الناشيء في قريش الذين يستقبلون الحياة الجديدة وما ترتب على الفتوحات من ثراء عريض يوصلهم إلى المجد والسلطان ، فأشتدت قلوب شباب الانصارموجدة وغيضاً ، لأنهم رأوا الخليفة يحول بينهم ويؤثر قرابته بالمناصب ، لذلك اشتدت المعارضة لعثمان[٢٥].

ثُمَّ يجهز طه حسين في الجزء الثاني من كتابه (الفتنة الكبرى) على أسطورة ابن سبأ ، بهذه الملاحظة الدقيقة وهي لماذا لم يبرز ابن السوداء مع علي في تمرد صفين ، في حين أكثروا من الكلام عن ابن سبأ في عهد عثمان ومؤامرة الجمل فاهملوه بشكل كامل ؟ ، ويجيب طه حسين على ذلك ،بالقول إنّ ابن السوداء لم يكن إلّا وهماً ، وإن وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صوره المؤرخون ، وإنما هو شخص ادخره خصوم الشيعة وحدهم [٢٦].

إن هذا التناقض الذي نبه إليه الدكتور طه حسين ، يمكن توضيحه بشيء من التفصيل، وهو إن ابن سبأواتباعه حسب نظر القائلين بوجود ابن سبأ ، كانوا سبب قتل الخليفة عثمان بن عفان ، وإنهم شكلوا عماد جيش الإمام علي[٢٧] الذي توجه للقضاء على مؤامرة الجمل التي تذرع قادتها بأنهم يطالبون بدم عثمان والثأر له ، وزعموا انه عندما تقابل الجيشان جرت مفاوضات بين الطرفين للتوصل إلى صيغة للصلح لحقن دماء المسلمين ، لذلك وجد ابن سبأ واتباعه أنفسهم في موقف حرج ، إذ إن الصلح إذا تم فسوف يكون على حساب دمائهم ، لأنه لابد وان تكون من شروطه تسليم قتلة الخليفة للعدالة ، وهذا ما لا يريدونه لذلك سارعوا لإفشال الصلح بمهاجمة المتآمرين، مما أدى إلى تجدد القتال ثانية فأصبح الصلح نسياً منسياً ، وصار ابن سبأ وأتباعه في منأى عن المسائلة في مقتل الخليفة عثمان بن عفان .

والتساؤل هنا، إن هذا الأمر الذي حصل في مؤامرة الجمل، لماذا لم يحصل في صفين مع بقاء الأسباب نفسها؟ فمعاوية هوالاخرقام بتمرده ضد الإمام علي بحجة مطالبته بدم عثمان أيضا، لذلك فالأخطار التي كانت قائمة ضد السبئيين في الجمل

هي نفسها قائمة في صفين، فلماذا لم يظهر السبئيون ثانية ويندفعوا للقتال بأشد صورة للقضاء على معاوية نهائيا، وبذلك يتخلصون من آخر صوت يطالب بتسليم قتلة عثمان إليه للاقتصاص منهم، لاسيما والهزيمة لاحت بوادرها على جيش معاوية وحينذاك يعيشون بهدوء لأنه لا احد يطالبهم بالقصاص بعد ذلك ، لكن نشهد إن الأحداث تنحى منحى مغايرا، إذ فرض وقف القتال في صفين، على الإمام علي من قبل جماعة من جيشه،بعد رفع المصاحف من قبل أهل الشام، كإشارة إلى اللجوء إلى التحكيم،فهل يعني هذا إن أحداثا وقعت جعلت السبئيين ينقلون ولاءهم من علي إلى ولاء لمعاوية في سبيل أن يهيئوا لمعاوية الفرصة لالتقاط الأنفاس ويفرضوا على علي وقف القتال، بعد أن كاد معاوية أن ينهزم من المعركة كما اعترف نفسه بذلك[٢٨] ؟ أم إن الصحيح هوما أشار إليه الدكتور طه حسين، وهو إن ابن سبأ لاوجود له ؟ وهذا هو الصواب ،فلوكان هناك سبئيون لقاتلوا بضراوة مع الإمام علي،ووقفوا بوجه أولئك الذين استجابوا لمكيدة التحكيم ، لان انتصار معاوية - وهو الاقوى في المطالبة بدم عثمان من قادة مؤامرة الجمل - في هذه المعركة ، يعني التصفية النهائية للسبئين باعتبارهم قتلة الخليفة كما تدعي تلك الروايات .

وبلا شك فإن لطه حسين فضل الريادة على الباحثين في رفع الغطاء الذي تسترت تحته فكرة ابن سبأ ، وظلت قابعة في مصادر التاريخ الاسلامي وكأنها حقيقة ثابتة ، فاماط اللثام عن أسسها المتداعية ، وفتح الباب أمام الباحثين الآخرين في سبيل ألقاء المزيد من الضوء عليها تمهيداً لتقويضها وتنقية التاريخ الاسلامي من الدرن الذي علق عليه .

(٢) علي الوردي :

ويشاطر طه حسين هذا الرأي ، علي الوردي ، عالم الاجتماع المعروف ، وهو وان يبدي حيرته حول الموضوع ويعتبر دراسة هذه الشخصية ، مشكلة عويصة ، لكنه يحتمي بالأفكار التي توصل أليها طه حسين ، التي تجعل شخصية ابن سبأ نوعاً من الوهم ، ويقول إنّ ابا ذر ليس بحاجة إلى هذا الطارئ ليعلمه ان للفقراء حقاً على الأغنياء ، كما تناول ما ذهب اليه أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) الذي يؤمن بالدور الخيالي لأبن سبأ الذي حرك ابا ذر للدعوة إلى ما اسماه بالاشتراكية وانه ألّه عليا ووضع تعاليما لهدم الإسلام وألف جمعية سرية لبثت تعاليمه كما يعتقد[٢٩] .

وقد اتهم الوردي هذا الطراز من المؤرخين وسماهم بالوعاظ الذين يتبعون في تفكيرهم منطق ارسطوطاليس القديم، لأنهم ينكرون الحركات التي تحتج على التنظيم الاجتماعي السيئ في تلك الفترة التي ظهر فيها أبو ذر ، حيث شهدت فرقاً واسعاً بين الفقر والغنى بشكل تتقزز منه النفوس ، لذلك كما يقول الوردي ، إن الثورة كانت لا

بد منها ، وإننا لا نحتاج إلى تعليل ظهورها ، إنما نحتاج بالأحرى إلى تعليل فيما لو لم تحدث إذ ذاك ثورة أو فتنة [٣٠].

وعليه فان الوردي يرى إنّ الثورة كانت حتمية الوقوع ضد الخليفة عثمان بسبب ما ساد تلك الفترة من اخطاء قاتلة ليست بحاجة إلى اختراع شخصية مثل ابن سبأ ليشعل نيرانها ، ويقول أن هذه الشخصية اخترعها الأغنياء إزاء من يثور عليهم فيعزونها إلى تأثير أجنبي [٣١].

ويكرر الوردي في موضع آخر من كتابه ، استغراب طه حسين عن غياب ابن سبأواتباعه في معركة صفين ، في حين انه كان حاضرا في حوادث الثورة على عثمان والحوادث التي جرت بعدها ،فلماذا نراه غائباً في معركة صفين ، يوم قتل عمار بن ياسر ، فهل اختفى ؟ ويجيب الوردي على سؤاله ، انه لم يختف أثناء معركة صفين ، فهو بالأحرى لم يكن له وجود حقيقي حتى يختفي [٣٢].

ثُمَّ يفاجئنا الوردي برأي طريف ، يظن فيه إنّ قريشاً كانت تقصد بأبن سبأ حين اخترعته أن ترمز به إلى عمار بن ياسر[٣٣]، فلما قُتل عمار في صفين لم تر قريش فائدة من تكرار قصة ابن سبأ في هذا الموقف ، فهي حكاية متقنة الحبكة رائعة التصوير ، ويفصل ذلك قائلاً : إنّ قريش تعرف عداء عمار لها فكانت تشتمه سراً في منتدياتها لأن ليس من مصلحتها شتمه أمام الناس ، وعليه ربما سمع أحد الرواة قريشاً تلهج بذكر ابن السوداء وتشتمه فظن أنها تعني شخصاً غير عمار ، ومن هذا الظن الخاطئ نشأت حكاية ابن سبأ وتراكمت حولها الأساطير شيئاً فشيئاً ، ثُمَّ ينتهي الوردي إلى أن من الغرائب أن نجد تشابهاً مدهشاً ين ما نسب إلى ابن سبأ وأعمال عمار ، منها أن ابن سبأ وعماراً يكنى كل منهما بأبن السوداء ، وان الاثنين من أب يماني ، وان عماراً كان شديد الحب لعلي بن أبي طالب يحرض الناس على بيعته ، كما أن عماراً في أيام عثمان ذهب إلى مصر واخذ يحرض الناس على عثمان ، وانه هو الذي عرقل مساعي الصلح بين علي وعائشة ، فضلاً عن انه ذهب مع الإمام الحسن ومالك الاشتر إلى الكوفة لتحريض الناس للالتحاق بجيش الإمام علي الذاهب إلى البصرة [٣٤]، لمقاتلة المتآمرين في معركة الجمل .

لكن إذا كان هناك تشابهاً في الجوانب الأولى بين عمار وابن السوداء ، إلّا إنّ النقاط الثلاث الأخيرة لا تعزز فكرة الوردي ، إذ إنّ ذهاب عمار بن ياسر إلى مصر أمر غير ثابت ، وفي هذا الشأن قال طه حسين ، بأنه يكاد يقطع بأن عماراً لم يرسل إلى مصر [٣٥].

والنقطة الأخرى إنَّ إرسال عمار من قبل الإمام علي إلى الكوفة كان ضمن وفد يتألف منه ومن الاشتر وبرئاسة الإمام الحسن ، لدعوة الناس للالتحاق بجيش الإمام علي الذي يتهيأ للقضاء على مؤامرة الجمل في البصرة ، حيث حاول والي الكوفة أبو موسى الاشعري تثبيط عزائم الناس واعتزال الحرب ، فالإمام علي ارسله بسبب ما

كان عمار يتمتع باحترام المسلمين وله كلمة عليهم ، فهو لم يذهب بمهمة شخصية سرية وإنما ضمن وفد رسمي لإيقاف حملة أبي موسى الاشعري الداعية إلى عدم الاشتراك في حرب الجمل ، ومن ناحية أخرى لم تجر مفاوضات للصلح بين علي وعائشة ، وإنما كان الإمام علي في تلك الحرب ناصحاً وداعياً إلى حقن الدماء كعادته في الحروب برسائل وسفارات يدعو فيها قادة المؤامرة إلى السلم وحقن الدماء،لكنهم أصروا على القتال ، لا سيما وان المتآمرين قد ارتكبوا جرائم قتل ونهب بيت المال في البصرة ، فكيف يتم الصلح ما لم يتم تسليم القتلة ، والقتلة هم قادة المؤامرة نفسها[٣٦] ، لذلك فليس هناك أي وجود لبوادر صلح بين الإمام علي وعائشة، حتى يتهم عمار بن ياسر بأنه سبب اجهاضها ، كما إنّ المؤرخين الذين أشاروا إلى ذلك الصلح ، ذكروه بصورة عابرة ولم يبينوا أي تفاصيل عنه ، فلم يشيروا إلى لقاءات أولية ولا وفود بين الطرفين ، ممّا يجعلنا نعتقد ، إنّ هذا الصلح المزعوم ، أُقحم في الموضوع حتى يتسق مع الدور التخريبي الذي رسمته له رواية سيف بن عمر لابن سبأ .

لكن الوردي في النهاية يشك فيما توصل اليه من نتائج ، ويقول : ان ما ذهب اليه ظن وان بعض الظن إثم كما يقول القرآن الكريم ، ولكنه كما يذكر انه مضطر إلى القول لما وجد من قرائن متعددة تشير اليه [٣٧]، ومع ذلك فإنه لا يمكن غمط هذه الأفكار التي لا تخلو من الطرافة لما فيها من تحليلات قائمة على أساس دراسة نوازع النفس الإنسانية والطبيعة الاجتماعية ، كما أنها في الوقت نفسه لم تهمل حقائق التاريخ وإحداثه ، ولو إنها لاتنطبق كليا على واقع الحال.

وقد قال الباحث كامل الشيبي إن ما جاء به الوردي يعتبر رأياً صائباً ، وان الأدلة التي ذكرها منطقية ، لكنه يتحفظ في النهاية على الموضوع ، ويقول انه بحاجة إلى نصوص تسند تسمية عمار بن ياسر بأبن السوداء [٣٨].إلا إن ملاحظة ألشيبي هذه غير دقيقة،لوجود عدة نصوص يسمى فيها عمار بن ياسر بابن السوداء ، من قبل بعض أشراف قريش[٣٩].

(٣) مرتضى العسكري :

أما السيد مرتضى العسكري ، فيعتبر كتابه (عبد الله بن سبأ...) تتويجاً للبحوث التي استعرضناها حول هذا الموضوع لاتساعه وشموليته وغزارة معلوماته ، وخلاصة ما جاء به ان السبئية تدل على الانتساب إلى قبائل اليمن من سلالة سبأ بن يشجب ، وقد لقب بالسبئية عدد كبير من رواة الحديث في الصحاح ، ثُمَّ تطورت وأصبحت نبزاً ينبز بها بعض شيعة علي ثُمَّ أصحاب المختار الثقفي من أفراد تلك القبائل ، وقد

اختلق الأسطورة السبئية ، سيف بن عمر ورواها عنه الطبري ، ومن الطبري اخذ المؤرخون الاخرون هذه الرواية .
ومن الناحية الثانية ان لقب ابن السوداء نبز ينبز به كل من كانت أمه سوداء[٤٠]، ويذكر العسكري نقلاً عن كتب الحديث وغيرها إنّ سيف بن عمر كان معروفاً بأنه متروك الحديث وليس بثقة وعامة أحاديثه منكرة ، كما أُتهم بالزندقة [٤١]، ويقول ان لفظة السبئية كانت تدل منذ الجاهلية على المنسوبين إلى سبأ بن يشجب ، وبعد وقوع الفتن بين فرعي قبيلتي عدنان وقحطان في المدينة والكوفة أخذت العدنانية تنبزهم بالسبئية ابتداء من عصر بني أمية في الكوفة ، وكان ذلك النبز غامضاً غير محدد المعنى حتى اظهروا تأليف سيف بن عمر أوائل القرن الثاني للهجرة بالكوفة ، حيث اختلق بدافع من زندقته وتعصبه للعدنانية ، الاسطورة السبئية وحرف فيها لفظة السبئية من الدلالة على الانتساب إلى قبائل قحطان إلى الانتساب إلى المذهبية التي أسسها عبد الله بن سبأ على حدِّ زعمه ، ويعتقد العسكري ان اسم عبد الله بن سبأ المزعوم قد صحفه سيف من اسم عبد الله بن وهب السبائي إلى عبد الله بن سبأ، أو إنه اختلق اسطورته وارتجل أسمه أو اختلقهما معاً ، لأنه لم يكن وجود لعبد الله بن سبأ في عصري عثمان وعلي ،غير عبد الله بن وهب السبائي [٤٢].

(٤) هاشم معروف الحسني :

ويطل علينا الحسني ، الباحث المعروف في العقائد برأي وجيه حول ابن سبأ ، ويرى إن من يطلع على تاريخ الفرق المنسوبة إلى الامامية ، والمعتقدات التي أضيفت اليها ، لا يرتاب في إن أياد قوية كانت تسير التاريخ لصالحها وتعمل لمحاربتها عن طريق التشويش على أفكارهم وتشويه معالمها ، ويؤيد فكرته هذه بشاهد قوي يمتلك قوة في الاقناع ، فقال إن حكام الامويين والعباسيين ، وجدوا إن فكرة الخلافة عند الامامية تذهب الى أن جميع الحكومات التي لا تخضع للوصاية لا تتصف بالشرعية ، لذلك فإنهم حاربوا هذا الفكر بشتى الاساليب ، لأنه يتعارض وبقاءهم في السلطة ويعتبرهم مغتصبين ، وفي النهاية استطاعوا أن يفرضوا على التاريخ شخصاً اسمه عبد الله بن سبأ ، ونسبوا اليه ما نسبوا من أفكار وأراء ، لتشويه ما جاء به ائمة آل البيت من فكر وعقيدة .
ويبدو إن مسلسل التشويه هذا ما زال مستمراً حتى الوقت الحاضر ، إذ يضرب لنا الحسني مثلاً على ذلك ، بما نسبه احدهم في مؤلف له ذكر فيه إن فكرة (التشبيه والتجسيم) يقول بها اتباع اهل البيت ، وإنّ التشبيه والتجسيم فكرة يهودية وقد آمن بها الامامية عن طريق ابن سبأ اليهودي ، حيث حقن مذهبهم بكثير من هذه الأفكار الغريبة .

في حين إذا نظرنا إلى هذه التهمة من الناحية الواقعية نجد فيها جرأة كبيرة على التاريخ ، فالمعروف إن الامامية ومعهم المعتزلة ، يؤمنون بالتوحيد المطلق ، الذي ينفي التجسيم عن الله سبحانه وتعالى، أي إن الله سبحانه وتعالى لا يكون جسماً ولا يوصف بصفات الاجسام[٤٣]، فهو ليس بجسم ولا صورة، لا بل أنهم احلوا من قال بأن له وجهاً ويداً وعيناً ، أو ينزل إلى الدنيا بمنزلة الكافر، إذ إن صفات الله سبحانه وتعالى عين في ذاته[٤٤]، لذلك فإن هذه الاضافات المغرضة هي جزء من ذلك المخطط القديم الذي رسمت خطواته الأولى في صدر الإسلام لتشويه مذهب آل البيت.

وفي هذا الصدد يشرح الإمام جعفر الصادق هذه الفكرة بشكل جلي ينفي بها الاتهام بأن الامامية تقول بفكرة (التشبيه والتجسيم) عندما سئل إن احدهم يقول : إن الله جسم ، لأن الأشياء شيئان ، جسم وفعل الجسم ، فرد عليه الإمام : ويحه أما علم إن الجسم محدود متناهٍ والصورة متناهية ، فإذا إحتمل الحد ، إحتمل الزيادة والنقصان ، وإذا إحتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً ، ثم لخص الإمام له الفكرة قائلاً إن الله لا جسم ولا صورة ، وهو مجسّم الاجسام ، لم يتجزأ ولم يتناه ، ولم يتزايد ولم يتناقص ، ولو كان كما يقولون لم يكن شيء بين الخالق والمخلوق[٤٥].

فإذا كانت هذه المغالطات تحدث في العصر الحديث الذي وفر للباحث وجعل تحت تصرفه مئات الكتب ، فضلاً عن تطور الوعي ووسائل البحث ، فعلينا أن لا نلوم بعض مؤرخي العصور الوسطى أن ابتكروا لنا شخصيات خيالية مثل ابن سبأ أو حرفوا في الحقائق ما دامت وسائلهم محدودة ، وملكة النقد لديهم ضعيفة ، حيث كانوا يقصرونه على الرواة دون المرويات [٤٦]، الأمر الذي يفتح المجال أمام أهل الاهواء للتلاعب بسلسلة الرواة ، ويخلقون سنداً متصلاً موصولاً يوهمون به الآخرين بصدقه لخدمة اغراضهم ، لاعتقادهم أن صحة الرواية تتوقف على امانة الراوي .

وعليه يمكن القول : إن حكاية عبد الله بن سبأ أشبه بقطعة غيار صدئه أقحمها سيف بن عمر التميمي[٤٧]، في احشاء التأريخ الاسلامي ، ترتب عليها تزييف في الأحداث وتشويه للحقائق ، ابعدت الانظار عن واقع مترد لألقاء اللوم على شخصية وهمية لا وجود لها واتهامها بأنها هي المسببة للأحداث التي وقعت في عهد الخليفة عثمان بن عفان ومن ثم أدت إلى قتله .

استخبارات الدولة وابن سبأ :

لقد فات على واضع اسطورة ابن سبأ ، والمؤرخين الذين تلقفوها دون تأمل ، إنّ أمراء الولايات في الدولة الإسلامية هم عيون الخليفة التي يبصر بها خارج عاصمته ، وينقلون اليه ما يدور في خلجات الرأي العام أولاً بأول ، بالإضافة إلى وجود المتزلفين ومحبي النميمة والوشايات الذين يرفعون للخليفة أو ولاته دقائق الأمور،

كيف يتركون ابن سبأ وهو يقوم بذلك النشاط الواسع الذي يحاول به أن يهد أركان الدولة حسب تلك الروايات دون زجر أو عقاب؟ ، لا بل تجرأت بعض الروايات وذكرت ان ابن سبأ حاول أن يستميل الصحابيين ابا الدرداء[٤٨]، وعبادة بن الصامت [٤٩]، وقد ألقى عبادة القبض عليه وجاء به إلى معاوية وبيّن له انه هو الذي حرض ابا ذر عليه ، وهنا تصمت الرواية التي ذكرها الطبري وابن الاثير وابن خلدون[٥٠]، ولم تذكر ما كان موقف معاوية اتجاه ابن سبأ ، في حين إن معاوية لا يطيق ان يشاهد في ولايته من يؤاخذه بشيء ولو كان بسيطا، وهذا ما حصل بالنسبة لأبي ذر عندما نفاه الخليفة عثمان إلى بلاد الشام ليكون تحت رقابة معاوية الصارمة ، لكن معاوية لم يطق وجود أبي ذر في دمشق لأنه انتقده على إسرافه ، الأمر الذي يدحض تلك الرواية القائلة بأن ابن الصامت جاء بابن سبأ مقبوضاً عليه لمعاوية ، وهناك رواية أخرى تشرح لنا بشكل غامض ما جرى بين ابن سبأ واحد ولاة عثمان ، وتقول : ان عبد الله بن عامر والي البصرة ارسل على ابن السوداء وسأله ما أنتَ ؟ فقال انه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام ، فقال له اخرج عني فخرج حتى اتي الكوفة فاخرج منها فاستقر بمصر[٥١]، دون أي مضايقة أو تحقيق معه وكأنه عابر سبيل ثقيل الظل لا حامل مبادئ هدامة كما تصوره تلك الروايات .

إنّ الاستخبارات الاموية في عهد الخليفة عثمان كانت على درجة عالية من اليقظة والمراقبة حتى وكأن لها مجسات تراقب حتى طبائع الناس الشخصية ، وفي الرواية التالية ما يؤكد ذلك ، فقد كان عامر بن عبد قيس رجلاً منقطعاً عن الناس فسعوا به إلى الخليفة عثمان بن عفان ، بأن الرجل لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة ، فكتب الخليفة إلى واليه في البصرة عبد الله بن عامر (ابن خال الخليفة) يأمره بنفيه إلى بلاد الشام دون تحقيق ، فألحقه بمعاوية ، ولما قدم عليه وافق عند معاوية (ثريدة) فدعاه أليها فأكل معه بشراهة ،فرأى معاوية أن يختبر صحة الوشاية عن هذا الرجل ، فسأله هل يدري سبب أخراجه من البصرة ؟ فأجابه بالنفي ، فذكر له معاوية ما أتهم به فكذب ما يتعلق بالصلاة وقال انه يشهدها في مؤخر المسجد ثم يخرج قبل الناس، وأما الزواج فذكر انه في طريقه إلى الخطبة والقي القبض عليه ، أما أكل اللحم ، فإنه عافه منذ رؤيته لقصاب يجر شاة إلى مذبحها والسكين عليها [٥٢].

فإذا كان هذا الرجل الذي وصف إنه منقطع عن الناس ولم يبدر منه ما تخشى منه السلطة ، لكن بسبب وشاية كاذبة يتخذ بحقه أقسى عقاب وهو النفي من مدينته البصرة إلى دمشق فكيف يترك ابن سبأ يجوب البلدان محرضاً على الخليفة ، فضلاً عن إن هناك شخصيات إسلامية يشار لها بالبنان لما عرف عنها من الصلاح والسبق والصحبة مع رسول الله تطالهم المراقبة الشديدة ،ثم يتعرضون إلى عقوبات قاسية لمجرد أنهم انتقدوا مظاهر سلبية وجدوا فيها تعارضا مع الدين ، وهم مدفوعون بنية الاصلاح وليس التخريب ، مثل عمار بن ياسر الذي تعرض إلى الضرب الشديد

وكذلك الحال بالنسبة إلى عبد الله بن مسعود[٥٣]، الذي هو الآخر يضرب ضرباً مبرحاً ، حيث توفي بعد ذلك، في حين مات أبو ذر الغفاري[٥٤] في منفى الربذة غريباً مغضوباً عليه ، وهم جميعاً من صحابة رسول الله المقربين ، فكيف يترك ابن سبأ يجول في الولايات بحرية تامة وهو يحمل معاول الهدم ، دون أن يحاسبه احد على ما يقوم به ، لذلك فان هذه الملاحظة تؤكد بشكل لايقبل الشك بان شخصية ابن سبأ لاوجود لها على الاطلاق ، وإنما هي محض خيال استحضره سيف بن عمر، المعروف بالوضع ، لتفسير أحداث معينة، بشكل لا منطقي كشف زيفها وبطلانها الاستقراء التاريخي للأحداث التي وقعت في بداية الثلث الثاني من القرن الهجري الأول .

الخاتمة

١- إنَّ ابن سبأ الذي أول من ذكره سيف بن عمر المتوفى بعد سنة ١٧٠هـ ، شخصية وهمية لم يعرف عن سيرتها الشيء الكثير ، سوى انه من بلاد اليمن ويتدين باليهودية ثم اسلم ، وهذه المعلومة المشوشة لا تفي بالغرض ولا تتناسب مع نشاط شخصية خطيرة كونت تجمعا يمتد نشاطه من المدينة إلى البصرة والكوفة ثم يقتحم مصرا عبر بلاد الشام ، دون أن يسأله احد من مريديه عن قبيلته ، وهو السؤال التقليدي عند العرب للغريب ، أو حالة اسرته وموارد رزقه ونفقات سفره ، الأمر الذي يوحي بعدم التصديق بوجودها .

٢- إنَّ الفوضى التي وقع فيها المؤرخون في استعراض آراء ابن سبأ حري بتكذيب وجود صاحبها ، فقالوا هو الذي دعا إلى وصاية علي وانه الأفضل ، وتبنى مبدأ رجعة رسول الله ، وفي زمن الإمام علي ذكروا انه ألّه الإمام عليا وزعم لنفسه انه نبي ، وان علياً حرقه بالنار ومنهم من قال انه نفاه ، وفات الناقلون لهذه الروايات انه كيف يتم التوفيق بين آراء عبد الله بن سبأ ، برجعة رسول الله وادعاء ابن سبأ بالنبوة؟ إذ عند رجعة رسول الله هل يظل ابن سبأ يحتفظ بنبوته إلى جانب محمد رسول الله ، وهل يجوز أن يجتمع نبيان في أن واحد لأمة واحدة ؟ أم يتخلى عن نبوته ؟ إن هذه المتناقضات والرؤى الغريبة ، أكثر منها المغرضون في سبيل تلويث فكر أل البيت وتهديمه .

٣- إنَّ واضع أسطورة ابن سبأ، أراد إن ينسب الثورة على الخليفة عثمان ، إلى شخصيات مريبة تظاهرت بالإسلام واستبطنت هدمه من الداخل ، في محاولة لتصوير الخليفة على انه ضحية لمؤامرة خارجية، فكأنه أراد تزكية إجراءات السلطة المركزية والتأكيد على سلامتها إزاء المتذمرين ، وتنزيه الولاة الأمويين مما نسب إليهم من مظالم كانت السبب الرئيس في الثورة على الخليفة.

٤- إنَّ سيف ابن عمر أراد تجريد الإمام علي من المكانة التي حددها له رسول الله في غدير خم ، حينما خاطب الجموع المحتشدة من الحجاج: إني تارك فيكم الثقلين ،

احدهما اكبر من الآخر ، كتاب الله وعثرتي آهل بيتي ، ثم قال : من كنت وليه فهذا (علي) وليه ، اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه ، لذلك فإنّ سيف بن عمر نسب إلى ابن سبأ القول في وصاية علي ، هو في سبيل التعمية إن ولاية علي جاء فيها ابن سبأ وليس إلى حديث رسول الله في غدير خم .

٥- إنَّ التساؤل الذي أثاره طه حسين وفند به أسطورة ابن سبأ ، وهو الحضور المكثف للسبئين في معركة الجمل وعدم حضورهم في معركة صفين دليل على عدم وجودهم على ارض الواقع ، فإنَّ ممّا يؤيد ذلك أيضا إنهم لم يظهروا عندما بويع الإمام الحسن بالخلافة، في حين إنه كان بأشد الحاجة إلى الأنصار لشد أزره والوقوف بوجه محاولات معاوية لتهديم جيش الحسن من الداخل، وهذا يعني انه لا وجود لابن سبأ إلافي مخيلة سيف بن عمر .

٦- وفي سبيل إضفاء الشكوك على مذهب آل البيت وسلخه عن دائرة مصادر التشريع الإسلامي وزرع النفرة منه في قلوب المسلمين، حاول سيف أن يربط أصوله الأولى بجذور يهودية عن طريق نسبة بعض الأفكار إلى ابن سبأ اليهودي المزعوم .

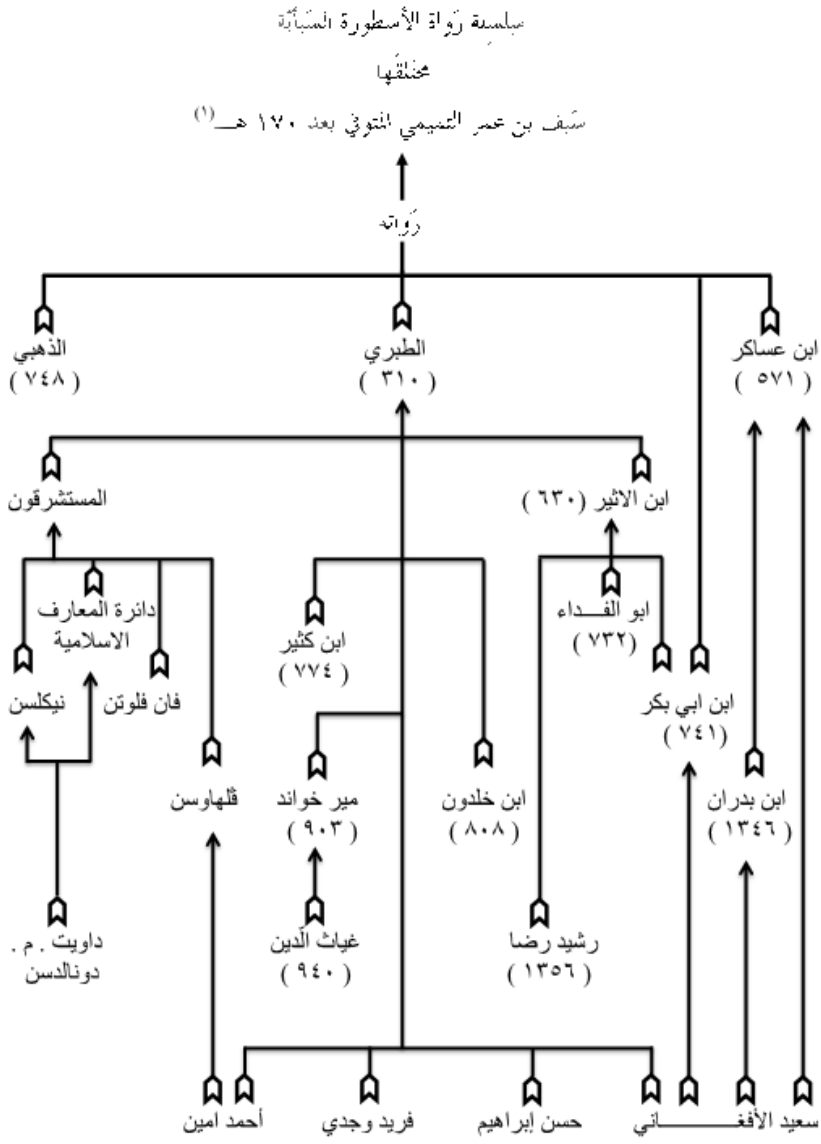

* دوّن هذا المخطط بالتاريخ الهجري

(١) نقلاً عن : مرتضى العسكري ، عبد الله بن سبأ واساطير أخرى ، ط٥ ، ج٢ ، بيروت ١٩٨٣ ، ص٧٢ .

هوامش البحث :

(١) ابن أبي الحديد ، نهج البلاغة ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، بيروت٢٠٠٨، ج١١ ، ص١٣٤

(٢) الكليني ، اصول الكافي ، منشورات الفجر ، بيروت د . ت ، ج١ ، ص٣٧ .

(٣) محمد عبد الغني، علم التاريخ عند العرب ، ص٤٠ .

(٤) عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت ١٩٦٠ ، ص١٥ .

(٥) محمد عبد الكريم احمد الشهرستاني ، الممل والنحل ، تحقيق : أمير علي مهنا ، بيروت ١٩٩٣ ، ص٢٠٥ .

(٦) محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ، معرفة أخبار الرجال ، المطبعة المصطفوية (طبعة حجرية) ، بمبئي يائي دهوني ، د . ت ، ص٧ .

(٧) طه حسين ، الفتنة الكبرى ، علي وبنوه ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص٩٣ .

(٨) الحسن بن موسى النوبختي ، فرق الشيعة ، تصحيح هـ . ريتر ، استانبول ١٩٣١ ، ص٢٠٤ .

(٩) الشهرستاني ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٠٤ .

(١٠) عبد القادر البغدادي ، الفَرق بين الفُرق ، تحقيق : محمد عثمان الحشت ، القاهرة ١٩٨٨ ،ص٢٥ .

(١١) الكشي ، المصدر السابق ، ص٧٠ .

(١٢) ابن هلال الثقفي ، الغارات ، تحقيق : عبد الزهرة الحسيني الخطيب ، بيروت ١٩٨٥ ، ج٢ ، ص٣٦٦ .

(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٣، ج٤ ، ص٣٤٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ج٣ ، بيروت ٢٠١١ ، ص٤٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي ، ج١٠ ، مصر ١٩٩٨ ، ص٢٦٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، مراجعة : سهيل زكار ، بيروت ٢٠٠٠ ، ج٢ ، ص٥٨٧ .

(١٤) الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٥٠٦ ؛ ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١١٠ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦١٥ .

(١٥) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٨٧ .

(١٦) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، مج ٢ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٠ ، ص٢٨ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط٤ ، القاهرة د . ت ، ص٢٥٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام " عصر الخلفاء الراشدين "، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ١٩٩٠ ، ص٥٧٠ .

(١٧) محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، (دمشق – بيروت ٢٠٠٢) ، رقم الحديث ٣٨٦١ ، ص٩٤٤ – ٩٤٥ ؛ ابن كثير ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٨٦ .

(١٨) أحمد شلبي ، التاريخ الاسلامي، ط٣ ، القاهرة ١٩٦٣ ، ج١ ، ص٢٧٨ – ٢٩٢ .

(١٩) الشيخ محمد الخضري ، تاريخ الأمم الإسلامية،مصر١٣٨٢هـ ، ط٨، ج٢، ص٤٥ وما بعدها .

(٢٠) يرى البعض إن التنافس بينهما يعود إلى الحكاية التي تقول إن هاشما وعبد شمس ولدا توأمين وخرج هاشم وتلاه عبد شمس وكان عقبه ملتصق بعقب أخيه ، وقيل إصبع احدها ملتصق بجبهة صاحبه ، وفي رواية أخرى إن جباههما ملتصقة ففرق بينهما بالموس أو السيف ، فسال الدم ، فقيل ستكون بينهما دماء وسوف يكون بين ولدهما من التقاطع ما لم يكن بين احد٠ وقيل إن بداية الخصومة تعود إلى ما تميز به هاشم (عمرو) من كرم مثالي ، إذ عندما أصاب قومه القحط ، رحل إلى فلسطين واشترى الدقيق وقدم به إلى مكة ، فخبز ونحر الجزور وهشم الثريد لقومه واطعم الناس وعلى اثر ذلك سمي (هاشماً) وقال الشاعر يمدح فعله:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

فحسده ابن أخيه ، أمية بن عبد شمس ، وكان ذا مال فتكلف أن يصنع صنع هاشم ، فعجز عن ذلك ، فشمتت به قريش، فدعا إلى المنافرة (المفاخرة) مع عمه ، فوافق بعد كره ، على أن ينافره على خمسين ناقة سود الحدق ، ينحرها ببطن مكة، والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضي أمية بالشروط ، وجعلا بينهما في المنافرة(الكاهن الخزاعي) الذي نفر هاشما على أمية ، فأخذ هاشم الإبل ونحرها واطعم من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ، فكانت بداية العداوة بين هاشم وأمية. للتفاصيل يراجع ، اليعقوبي ، المصدر السابق ، مج٢ص٢٤٢ ؛ الطبري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٥٢ وما بعدها ؛ البلاذري ، جمل من انساب الأشراف ، تحقيق : سهيل زكار وآخر ، بيروت ١٩٩٦ ، ج١ ، ص٦٠-٦١ ؛ تقي الدين المقريزي ، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، تحقيق : حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٨٨ص٣٧-٣٨ ؛ وسواء صحت هذه الروايات، أم إنها من قبيل

الوضع القصصي ، فإنها غير مقنعة لتفسير الصراع بين بني أمية وبني هاشم ، لان الاختلاف الشخصي بين الأجداد ليس بالضرورة يرثه الاحفاد بعد مرور عدة أجيال عليه وهي مدة كافية لنسيانها ، ومن ناحية ثانية تبدو العلاقات بين الطرفين اعتيادية ، كما يتضح من جواب الإمام علي على رسالة معاوية ، إذ جاء فيه : إنا كنا بيتا واحدا في الجاهلية لانا بنو عبد مناف ، إلا إن الفرقة بيننا وبينكم منذ بعث رسول الله ، فآمنا وكفرتم ، ينظر : ابن أبي الحديد ، المصدر السابق ،ج١٧ ، ص١٧٨

(٢١) عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٠ ، ج١ ، ص٣٥٣ – ٣٥٦ .

(٢٢) الكيسانية : وهي فرقة قالت بامامة محمد بن الحنفية ، فسموا بالكيسانية لأن المختار بن أبي عبيدة الثقفي كان رئيسهم يلقب بكيسان ، وهو الذي طالب بدم الحسين حتى قتل قتلته ، ويقال أن صاحب شرطته اسمه كيسان ، ينظر : النوبختي ، فرق الشيعة ، المصدر السابق ، ص٢٠ – ٢١ .

(٢٣) يوليوس فلهاوزن ، الخوارج والشيعة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص٢٤ و ص٢٣٩ – ٢٤٧ .

(٢٤) يوليوس فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريده ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص٦٣ و ص٤٧٥ .

(٢٥) طه حسين ، عثمان ... ، القاهرة ١٩٦٢ ، ج١ ، ص١٣١ – ١٣٧ .

(٢٦) طه حسين ، علي وبنوه ... ، ج٢ ، ص٩٠ – ٩١ .

(٢٧) جاء في ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٠٦ ، إنّ الإمام علي لم يول أحداً ممّن خرج على عثمان .

(٢٨) نصر بن مزاحم المنقري ، وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بيروت ١٩٩٠ ، ص٣٩٥ ؛ الطبري ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٤ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، طبعة حجرية ، القاهرة ١٢٨٥ هـ ، ج١، ص١٥٦ ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٦٣١ ؛ اليعقوبي ، المصدر السابق ، مج٢ ، ص١٨٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ... ، ج٣ ، ص١٥٣ .

(٢٩) احمد أمين ، فجر الإسلام ، دار النشر / كلمات ، (القاهرة د . ت) ، ص٢٠٦ – ٢٠٧ .

(٣٠) علي الوردي ، وعاظ السلاطين ، ط٣ ، دار كوفان ، لندن ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ ، ص٩٥ – ٩٧ .

(٣١) المصدر نفسه ، ص٩٥ – ٩٨ .

(٣٢) المصدر نفسه ، ص١٧٦ .

(٣٣) استخدم معاوية وغيره في وصف عمار بن ياسر بابن السوداء في عدة مواضع فجاء في كتاب : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٢ ، ج٤ ، ص٣٤٠ – ٣٤١ على لسان معاوية انه قال لعمرو بن العاص حينما شاهد هاشم بن عتبة – احد قواد الإمام علي – والله لئن زحف بالراية ليوم أهل الشام الاطول ، ولكن ارى ابن السوداء إلى جنبه يعني عماراً . وقد ورد في كتاب : ابن الاعثم ، الفتوح ، تحقيق : علي شيري ، بيروت ١٩٩١ ، ج٢ ، ص٥٣٦ ، جاء في كتاب معاوية للإمام علي : فقد أبيت الغي إلا تمادياً لابن السوداء - أي عمار بن ياسر - ، وفي اليعقوبي ، المصدر السابق ، مج٢ ، ص١٧١ ، ان الخليفة عثمان قال ويلي على ابن السوداء - يعني عمار بن ياسر - ، لأنه لم يخبره بوفاة أبي ذر ، كما ورد في كتاب : ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، القاهرة ١٩٥٧ ، ج١ ، ص٣٣ ، في قول مروان بن الحكم للخليفة عثمان عندما أشار عليه بقتل عمار بن ياسر ، فقال يا امير المؤمنين إن هذا العبد الأسود ... ، وفي ابن سعد ، الطبقات ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ١٩٨٥ ، ج٣ ، ص٢٦١ ، قال معاوية عند اشتداد القتال في صفين ، فقال هذا يوم تفانى فيه العرب إلا إن تدركهم فيه خفة العبد – يعني عمار بن ياسر - ، وربما أوحت هذه الروايات للباحث علي الوردي بفكرة إنّ ابن السوداء هو عمار بن ياسر .

(٣٤) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٧٨ – ١٧٩ .

(٣٥) طه حسين ، عثمان ... ، ج١ ، ص١٢٩ .

(٣٦) البلاذري ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٦٠ ؛ الشيخ المفيد العكبري ، الجمل ، ط٣ ، مكتبة الداوري ، قم ، د . ت ، ص٢٥٢ .

(٣٧) علي الوردي ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

(٣٨) كامل مصطفى ألشيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع ، بغداد ١٩٦٣ ، ج١ ، ص٣٦ – ٣٧ .

(٣٩) ينظر هامش رقم (٣٣)

(٤٠) مرتضى العسكري ، ابن سبأ واساطير أخرى ، ط٥ ، بيروت ١٩٨٣ ، ج٢ ، ص٢٦٣ .

(٤١) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٧ .

(٤٢) مرتضى العسكري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٨١ .

(٤٣) هاشم معروف الحسني ، الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة ، بيروت ١٩٦٤ ، ص١٠٠ – ١٦٦ .

(٤٤) الشيخ محمد رضا المظفر ، عقائد الامامية ، قم ٢٠٠٥ ، ص٣٦ – ٣٧ .

(٤٥) الكليني ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٦١ – ٦٢ .

(٤٦) كاظم باجي الخالدي ، التدوين التاريخي عند العرب ، مجلة المعلم الجديد ، وزارة التربية ، مج٣٦ ، بغداد ١٩٧٤ ، ج١ ، ص٩٠ .

(٤٧) إن سيف لم يقتصر على اختلاق شخصية ابن سبأ ، بل عمد إلى اختلاق كثير من الشخصيات الإسلامية من صحابة وتابعين وقادة فتوح وشعراء ورواة حديث والى تزييف كثير من الامكنة ، للتفاصيل ، ينظر : مرتضى العسكري ، خمسون ومائة صحابي مختلق ، القسم الأول ، بيروت ١٩٦٨ ، وقد خصص الكتاب لتلك الموضوعات ، التي اختلقها سيف بن عمر .

(٤٨) أبو الدرداء : اختلف في اسمه وقيل عويمر بن عامر ، تأخر اسلامه قليلاً ، وكان آخر أهل داره اسلاماً ، وحسن اسلامه وكان فقيها ، وآخى رسول الله بينه وبين سلمان الفارسي ، وقد اختلف في سنة وفاته بين (٣٢ – ٣٤ هـ) ، تولى القضاء لمعاوية في خلافة عثمان ، ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب في أسماء الاصحاب ، بيروت ٢٠٠٠ ، ج٢ ، ص٣٩٤.

(٤٩) عبادة بن الصامت : وهو انصاري من الخزرج وشهد بيعة العقبة واحد النقباء الاثنى عشر . شهد بدر وأُحد والخندق مع رسول الله ، وقد استعمله على الصدقات ، وارسله عمر بن الخطاب ومعه معاذ بن جبل وابا الدرداء ليعلموا الناس القرآن ، وخالف معاوية في شيء انكره فاغلظ له معاوية في القول ، فقال له عبادة لا أساكنك بأرض فرحل إلى المدينة لكن الخليفة رده وكتب إلى معاوية لا إمرة لك عليه . توفي سنة ٣٤ هـ في بيت المقدس ، ينظر : ابن سعد ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٥٤٦ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت د . ت ، ج٣ ، ص١٥٩.

(٥٠) الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٨٣ ؛ ابن الاثير ، الكامل ... ، ج٣ ، ص١٦ ؛ ابن خلدون المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٨٨ .

(٥١) الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣٢٦ – ٣٢٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ... ، ج٣ ، ص١٨ .

(٥٢) الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣٢٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ... ، ج٣ ، ص٣٩ .

(٥٣) عبدا لله بن مسعود : هو من الرعيل الأول الذين اسلموا ، وكان أول من أفشى القرآن بمكة ، وقد تميز بقراءة خاصة للقران حتى قال عنها رسول الله : من أراد أن يقرأ القرآن غضا ، فليقرأه قراءة ابن أم عبد - أي ابن مسعود - وكان يسمى صاحب السواد لأنه مسؤول عن فراش النبي وسره ووساده وسواكه ونعليه ، وقد عينه الخليفة عمر على بيت مال الكوفة ، وظل فيه شطراً من خلافة عثمان ، حيث ترك عمله ، نتيجة مماطلة والي الكوفة

الوليد بن عقبة أخي الخليفة لأمه في تسديد قرض استدانه من بيت المال ، وقد أمره الخليفة بعدم التعرض للوليد وقال له أنت خازن لنا ، ثم استقدمه إلى المدينة اثر كتاب من الوليد ، ولما جاء المدينة قال الخليفة عنه : قدمت عليكم دويبة سوء من تمشي على طعامه يقئ ويسلح ، فقال له ابن مسعود لست كذلك ، ولكني صاحب رسول الله ويوم بيعة الرضوان ، ثم أمر عثمان بإخراجه من المسجد ، وضربه احد غلمان الخليفة بالأرض فدق ضلعه ، ودافعت عنه السيدة عائشة والإمام علي ، ثم قطع عطاؤه ، وعلى اثر ذلك توفي وتولى دفنه عمار بن ياسر دون علم الخليفة . للتفاصيل ينظر : ابن سعد ، المصدر السابق ، مج٣ ، ص١٥٠ وما بعدها ؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، بيروت١٩٩٢، ج٥، ص٣١؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، القاهرة ٢٠٠٨ ، ج٦ ، ص٣٧٦؛ البلاذري ، المصدر السابق ج٦ ، ص١٤٧؛ ابن عبد البر، المصدر السابق ،ج١، ص٥٩٢ وما بعدها ؛ ابن أبي الحديد ، المصدر السابق ،ج٣ ، ص٣٤ ؛ احمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس ، جدة ١٩٨٣ رقم الحديث١٥٥٣، ص٨٤٤ ؛ اليعقوبي ، المصدر السابق ، مج٢ ، ص١٧٠ .

(٥٤) أبو ذر الغفاري : وهو من السابقين في الإسلام ، فكان رابع أربعة ، وقد عبد الله قبل مبعث رسول الله ، وبايع رسول الله على أن لا تأخذه في الحق لومة لائم ، وقد وصفه النبي بقوله : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء اصدق لهجة من أبي ذر، وفي عهد الخليفة عثمان تعرض للملاحقة بسبب انتقاده منح مروان بن الحكم وأخيه الحارث وزيد بن ثابت عطايا كبيرة من بيت المال ، واخذ يقرأ في المحافل آية(والذين يكنزون الذهب والفضة ... التوبة ٣٤) فحذروه من ذلك ، إلا انه لم يعبأ بذلك ، ففاه الخليفة للشام ، ليكون تحت مراقبة معاوية ، إلا إن أبا ذر انكر على معاوية إسرافه في بناء قصر الخضراء وقال له : إن كان هذا من مال الله فهي الخيانة ، وان كان منك فهو الإسراف ، لذلك كتب معاوية للخليفة ، انه لا يأمن على حكمه من وجود أبي ذر ، عندها أمر الخليفة أن يؤتى به إلى المدينة على أغلظ مركب ، ثم سيره الخليفة من المدينة إلى الربذة منفياً حيث توفي هناك ، للتفاصيل انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ... ، المصدر السابق، ،ج١، ص٥٦٣ ؛ البلاذري ، المصدر السابق ، ج٦، ص١٦١-١٦٧ ؛ ابن أبي الحديد ، المصدر السابق ،ج٣ ، ص٣٧-٤١؛ ابن اعثم الكوفي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٧٤ ؛ اليعقوبي ، المصدر السابق ، مج٢ ، ص١٧٢ .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأولية :

(١) ابن الاعثم ، محمد بن أحمد (ت ٣١٤ هـ - ٩٢٦ م) ، الفتوح ، ج٢ ، تحقيق : علي شيري ، بيروت ١٩٩١ .
(٢) ابن الاثير ، عزالدين (٦٣٠ هـ - ١٢٣٢ م) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ج٣ ، بيروت ٢٠١١ .
(٣) ـــــــــ ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض وآخرون ، ج٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .
(٤) البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م) ، جمل من انساب الأشراف ،

ج١ ، تحقيق سهيل زكار ، بيروت ١٩٩٦ .
(٥) البغدادي ، عبد القادر (ت ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م) ، الفَرق بين الفُرق ، تحقيق : محمد عثمان الحشت ، القاهرة ١٩٨٨ .
(٦) البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ - ٨٦٩ م) ، صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، (دمشق – بيروت ٢٠٠٢ .
(٧) الثقفي ، ابن هلال (ت ٢٨٣ هـ - ٨٩٦ م) ، الغارات ، ج٢ ، تحقيق : عبد الزهرة الحسيني الخطيب ، بيروت ١٩٨٥.
(٨) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج٥ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا وآخر ، بيروت١٩٩٢ .
(٩) أبي الحديد ، ابن ، (ت ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م) ، نهج البلاغة ، ج١١ ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، بيروت٢٠٠٨ .
(١٠) بن حنبل ، احمد (ت ٢٤١ هـ - ٨٥٥ م) ، فضائل الصحابة ، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس ، جدة ١٩٨٣ .
(١١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م) ، ج٢ ، مراجعة : سهيل زكار ، بيروت ٢٠٠٠ .
(١٢) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م) ، تاريخ الإسلام " عصر الخلفاء الراشدين "، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ١٩٩٠ .
(١٣) ابن سعد ، محمد (ت ٢٣٠ هـ - ٨٤٤ م) ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، تحقيق : احسان عباس ، بيروت ١٩٨٥ .
(١٤) الشهرستاني ، محمد عبد الكريم احمد (ت ٥٤٩ هـ - ١١٥٣ م) ، الممل والنحل ، تحقيق : أمير علي مهنا ، بيروت ١٩٩٣ .
(١٥) ابن عبد ربه ، يوسف (ت ٣٢٨ هـ - ٩٤١ م) ، العقد الفريد ، ج٤ ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٢ .
(١٦) ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ - ١١٠٧ م) ، الاستيعاب في أسماء الاصحاب ، ج٢ ، دار الفكر ، بيروت ٢٠٠٠ .
(١٧) العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٦ ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، القاهرة ٢٠٠٨ .
(١٨) الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٣ م) ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٣.
(١٩) ابن قتيبة ، محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ - ٨٨٩ م) ، المعارف ، ط٤ ، تحقيق : ثروت عكاشة ، القاهرة د . ت .
(٢٠) ـــــــــــ ، الامامة والسياسة ، القاهرة ١٩٥٧ .
(٢١) ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل (ت ٣٢٩ هـ - ١٣٧٢ م) ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي ، ج١٠ ، مصر ١٩٩٨ .
(٢٢) الكليني ، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ - ٩٤١ م) ، اصول الكافي ، ج١، منشورات الفجر ، بيروت د . ت .
(٢٣) الكشي ، محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٥٠ هـ - ٩٩١ م) ، معرفة أخبار الرجال ، المطبعة المصطفوية (طبعة حجرية) ، بمبئي يائي دهوني ، د . ت .

(٢٤) المقريزي ، تقي الدين (ت ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م) ، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، تحقيق : حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٨٨ .
(٢٥) المفيد ، محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣ هـ - ١٠٢٢ م) ، الجمل ، ط٣ ، مكتبة الداوري ، قم ، د . ت .
(٢٦) المنقري ، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ - ٨٢٧ م) ، وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بيروت ١٩٩٠ .
(٢٧) النوبختي ، الحسن بن موسى (من رجال القرن الثاني) ، فرق الشيعة ، تصحيح هـ . ريتر ، استانبول ١٩٣١ .
(٢٨) ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م) ، تاريخ ابن الوردي ، طبعة حجرية ، ج١ ، القاهرة ١٢٨٥ هـ .
(٢٩) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢ هـ - ٩٠٤ م) ، تاريخ اليعقوبي ، مج ٢ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٠ .

المراجع الحديثة :

(١) أمين ، أحمد ، فجر الإسلام ، دار النشر / كلمات ، (القاهرة د . ت) .
(٢) حسين ، طه ، الفتنة الكبرى ، عثمان ، ج١ ، القاهرة ١٩٦٢ .
(٣) ــ ، الفتنة الكبرى ، علي وبنوه ، ج٢ ، القاهرة ١٩٦٤ .
(٤) الحسني ، هاشم معروف ، الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة ، بيروت ١٩٦٤ .
(٥) الخالدي ، كاظم باجي ، التدوين التاريخي عند العرب ، مجلة المعلم الجديد ، وزارة التربية ، مج٣٦ ، ج١ ، بغداد ١٩٧٤.
(٦) الخضري ، الشيخ محمد ، تاريخ الأمم الإسلامية ، ج٢ ، ط٨ ، مصر ١٣٨٢هـ .
(٧) الدوري ، عبد العزيز ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ١٩٦٠ .
(٨) شلبي ، أحمد ، التاريخ الاسلامي ، ج١ ، ط٣ ، القاهرة ١٩٦٣.
(٩) ألشيبي ، كامل مصطفى ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ج١ ، بغداد ١٩٦٣ .
(١٠) عبد الغني ، محمد ، علم التاريخ عند العرب ، القاهرة ، د . ت .
(١١) العسكري ، مرتضى ، خمسون ومائة صحابي مختلق ، القسم الأول ، بيروت ١٩٦٨ .
(١٢) ـــــ ، ابن سبأ واساطير أخرى ، ج٢، ط٥ ، بيروت ١٩٨٣ .
(١٣) فلهاوزن ، يوليوس ، الخوارج والشيعة ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٥٨ .
(١٤) ـــــ ، تاريخ الدولة العربية ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريده ، القاهرة ١٩٥٨ .
(١٥) ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج١ ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٠.
(١٦) المظفر ، الشيخ محمد رضا ، عقائد الامامية ، قم ٢٠٠٥ .
الوردي ، علي ، وعاظ السلاطين ، ط٣ ، دار كوفان ، لندن ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ .